الهرمنيوطيقا الدينية تقليد راهني، أم ضرورة استقدام؟
-يوسف الصديق أنموذجا-

الباحثة: حنان برقرق *
المشرفة: أ.د.فاطي فتيحة

الإرسال:	2018/07/01	القبول:	2018/10/08	النشر:	2018/12/22

الملخص باللغة العربية:

الهرمنيوطيقا إحدى المقاربات الحداثية الوافدة من الغرب والتي عمل يوسف الصديق في استثمارها على النص القرآني، حيث أنتج خطابا جديدا، يسعى المقال إلى بسط منطوقه وكشف المسكوت عنه، على مستوى موقفه من نصوص المؤسسة التفسيرية، وإيتيمولوجيا الكلمات العربية-اليونانية، ونظام الجزية .
كلمات مفتاحية: الهرمنيوطيقا – القرآن- يوسف الصديق – الدين -.

ملخص باللغة الإنجليزية:

Abstract: Hermeneutics it is One of the modern approaches which comes from the West, youssef seddik invested in the text of the coran, where he produced a new speech ,a new think, in this article we try to discuss his views, on the level of his decision about the institution 's texts interpretations, and the etymology of Arabic-Greek words, and the system of tribute.

* - طالبة دكتوراه سنة أولى "تخصص القراءات المعاصرة للفلسفة الإسلامية" جامعة عبد الحميد مهري – قسنطينة2- إشراف الأستاذة الدكتورة: أ.د فاطي فتيحة، منتسبة لمخبر :فلسفة العلوم (قسنطينة 2) مدير المخبر: د.محمد وادفل، . البريد الالكتروني: [philohananeber@gmail.com].

his approach remains an interpretive one, and can be readable and readable for many possibilities.

Keywords: Hermeneutics- coran- youssef seddik- religion.

توطئة:

لا تخلو حضارة من الحضارات ولا أمة من الأمم من التراث الديني The religious heritage فالقول بأن الإنسان حيوان ناطق -بتعبير أرسطو- قد يستلزم عنه أنه حيوان ديني* أيضا، على اعتبار أن الدين مثّل و لازال يمثّل أحد أبعاد الإنسان وتجلياته، ولا شك أن مصادر التاريخ بلونيه الكلاسيكي والمعاصر تُعضّد هذه الفكرة فمنذ الحقب الزمانية الغابرة ابتكر الإنسان معبوداته ودياناته ،فما أسماء آلهة حضارة بلاد الرافدين ،ومعبودات الحضارة المصرية ،وآلهة معابد اليونان إلا شاهد على هذا :شاهد يسرد أن دينا ما كان مُعتنقا هنا.

وعليه فقد اختلفت الأديان وتباينت، فمنها الوضعية كالهندوسية**، والكونفوشوسية*** ... والسماوية المحصورة في الديانات الثلاثة: المسيحية ،اليهودية والإسلام.

---

* « الظاهرة الدينية لا تنطبق فقط على الأديان التوحيدية الثلاث ،أو أديان الوحي، وإنما تخص بقية الأديان كالبوذية والكونفوشيوسية وكل تجليات التقديس في كل مجتمع بشري. ذلك أنه لا يمكن أن يوجد مجتمع بشري بدون تقديس أو حرام».ينظر: محمد أركون ،العلمنة والدين الإسلام المسيحية الغرب،دار الساقي،لبنان،ط3 ،1996،ص.111

** الهندوسية : ليس لها مؤسس معين ،وهي الكتاب الذي جمع العقائد والعادات والقوانين بين دفتيه ،ويعتقد الهندوس أنه أزلي لا بداية له ،ويرى الباحثون من الغربيين والمحققون من الهندوس أنه قد نشأ في قرون عديدة متوالية لا تقل عن عشرين قرنا ،بدأت قبل الميلاد بزمن طويل ،وقد أنشأته أجيال من الشعراء ،والزعماء الدينيين ،والحكماء والصوفيين .ينظر:أحمد شلبي ،أديان الهند الكبرى ،الهندوسية ،الجينية ،البوذية ،مكتبة النهضة المصرية ،مصر،1984،ص.37

*** الكونفوشوسية : نسبة إلى كونفوشيوس الذي ترك جانب العقيدة واتجه إلى الجانب العملي من الحياة فركز على الإصلاح الخلقي والاجتماعي والسياسي ،ولهذا بدأت الكونفوشوسية مذهبا عمليا أخلاقيا أكثر منه دينيا ،وذلك لأن كونفوشيوس وجد قومه غارقين في بحار من الأوهام منكبين على التفكير في عالم الأرواح .ينظر: إبراهيم محمد إبراهيم ،الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها ،مطبعة الأمانة ،مصر ،(ط1)،1985،ص.210

يعامل الإنسان في الفترات الأولى مع هذه الديانات تعاملا يقوم على التقديس و التبجيل المقترن بالرهبة والخوف ،إلا أنه ومع تغير المعطيات العلمية و التقدم المعرفي القاضي بتجاوز المرحلة الميتافيزيقية واللاهوتية بتعبير أوجيست كونت، أين كانت البدايات مع العصر الأوروبي الحديث **** حينها فقط استطاع الفكر الغربي أن يمسك مطرقة النقد ويضرب بها أصنام المعتقدات والأديان فقد «رُفض منذ بداية العصر الحديث كل منهج قبلي وكل معطى سابق »[1] هذا ما جعل تأويل الدين ضرورة حتمية وسبيلٌ لا مناص منه، تمكن بفضله المؤولون من إخراج النص الديني من سلطة و ربقة الكهنة واللاهوتيين الذي كرسوا الفهم الأحادي لتنقلب التراتبية و يتم بعث تأويلات لا حصر لها ،هنا فقط اختفى وانسدل من على النصوص الدينية بريق التقديس ،وصارت كغيرها من النصوص تُنقد ،تُفكك ،تُؤول ، وحتى تُكذّب.

فإلى أي مدى يمكن المصادقة على مشروعية التأويل في العالم العربي ، وهل يمكن اعتبار التأويل الديني ضرورة حتمية فرضتها الحاجة وتأزمات العصر ، أم هو مجرد دُرجة –موضة– أُستقدم كغيره من الآليات تقليدا، وولعا بالغرب كما وصفنا ابن خلدون قديما –المغلوب مولع بتقليد الغالب دوما-؟

سنحتكم في مقاربتنا هذه إلى المنهج التاريخي ؛تتبعا للأحدث وأهم المقاربات الهرمنيوطيقية، وكذا استخدام المنهج التحليلي النقدي.

سنحدد في البدء وبشكل مختصر المقصود بالهرمنيوطيقا وتاريخها ، ثم ننتقل بعد ذلك لمقاربة "يوسف الصديق" .

1- الهرمنيوطيقا مقاربة مفاهيمية:

تعد المفاهيم لبنات العلوم ومادتها فهي لا تمثل وعاء الأفكار وقوالبها فقط، بل مفاتيح المعارف جميعا ،ولما كانت الفلسفة ترتكز على فاعلية المفاهيم، كان من

**** العصر الحديث: ثمة إجماع على أن الفكر الأوروبي دخل ، و بخاصة عصره الحديث ، في القرن السابع عشر ، أو أنه على الأقل شهد ذاك القرن ثورة حضارية و فكرية ، يرتبط هذا العصر ارتباطا وثيقا بالثورة العلمية ،و لاسيما في الفلك و الفيزياء ،المشتملين على إنجازات غاليليو و نيوتن ،كما يرتبط بالفلاسفة كفرانسيس بيكون ،و رينيه ديكارت . ينظر : رولاند .ن.ستورمبرغ ،تاريخ الفكر الأوروبي الحديث 1601-1977،تر أحمد الشيباني ،دار القارئ العربي ،المملكة العربية السعودية ،(ط 3) ،1994،ص.17.

[1] مرسيا إلياد ، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ،تر:عبد الهادي عباس،دار دمشق،سوريا،(ط1)،1986،ص.7.

تقاليد البحث الأكاديمي البدء بضبط المصطلحات،و إقامة التعاريف امتثالا لما قاله فولتير مرة "إذا أردت الحديث معي ،اضبط مصطلحاتك " .

1-1- مفهوم الهرمنيوطيقا :

في الوهلة الأولى يُلاحظ أن كلمة "الهرمنيوطيقا" كلمة يونانية دخيلة على اللسان العربي ،و هي « تأتي من الفعل اليوناني Hermeneuein و يعني يفسر والاسم Hermeneiaويعني تفسير ، ويبدو أن كليهما يتعلق لغويا بالإله هرمس Hermes رسول آلهة الأولمب الرشيق الذي كان يتقن لغة الآلهة ،ثم يترجم مقاصدها إلى بني البشر» [1] و كل من ينتهج هذا الفعل يعتبر مؤولا.

ولما كانت الهرمنيوطيقا هي التأويل ،فإن التأويل حسب قاموس لسان العرب مشتق « من أوّل بمعنى رجع وعاد ،والأوّل الرجوع أو المصير والتأويل التفسير ،ويأتي التأويل بمعنى الجمع» [2] وقد اختلف العلماء المسلمون من المقصود بالتأويل «ويرجع اختلافهم إلى اختلاف مذاهبهم :فالتأويل عند السلف :له معنيان :تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه ،أو هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام » [3] ما يفهم هنا أنه هناك طريقان أو اتجاهان للتأويل : اتجاه يؤل الكلام بدون الاهتمام بظاهره، أما الاتجاه الثاني فيعتبر التأويل هو الالتزام بما جاء في ظاهر الكلام ، ليكون الهدف من التأويل وحسب شلايرماخر "أبو الهرمنيوطيقا" ليس الوقوف على عتبات النص بل «إعادة الخبرة الذهنية لمؤلف النص لإعادة معايشة ما عاشه المؤلف وألا ينظر في الأقوال بمعزل عن قائله أي إعادة تشييد الفكر نفسه الخاص بشخص آخر من خلال تأويل حديثه» [4] إن الهرمنيوطيقا وبصورة مختصرة "فن الفهم" ،وهي القدرة على استنطاق القصد الخفي من النصوص.

2-1- تاريخ الهرمنيوطيقا :

1عادل مصطفى ، فهم الفهم مدخل إلى الهرمنيوطيقا : نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير، دار رؤية، العربية ، مصر،(ط1)، 2007 ،ص. 24.

2 ابن منظور،لسان العرب ،دار صادر،مصر ،(د.ط)،2003،(ج.الألف) ،ص.194.

3 محمد أحمد المبيض ،التأويل وأثره في الاختلاف العقائدي والفكري والفقهي ،مجلة جامعة الأقصى –غزة-، فلسطين ،عدد خاص ،2006،ص.368.

4 عادل مصطفى ،المرجع السابق،ص.105.

لم يكن التأويل وليد هذا العصر ،بل إن جذور إرهاصاته الأولى تعود إلى «أفلاطون ومحاورة Ion أيون وأرسطو ،وأغسطين و لوثر...» [1] وغيرهم،وتجدرالإشارة هنا إلى أن أول من مارس تأويل النصوص الدينية هو أحد اللوثريين يدعى«"ماتيوس فلاسيوس ايلريكوس" إذ ألف في هذا الإطار كتاب (مفتاح الكتاب المقدس) في عام 1567،و أسس قاعدة لتوسيع نطاق هرمينوطيقا البروتستانت » [2] وهذا ما يدعم فكرة "دفيد جاسبر" الذي رأى أن الهرمنيوطيقا ابتدأت و تعلقت أساسا « بالتفسير والترجمة في ما له علاقة بتفسير النصوص المقدسة ،التي يعتبرها المؤمنون وحيا إلهيا» [3] لينتهج سبينوزا نفس المسار ،أين استطاع أن يبث الشك في أركان الدين المسيحي وبذلك يكون أهم من طبّق «المنهج الديكارتي تطبيقا جذريا في المجالات التي استبعدها ديكارت من منهجه،خاصة في مجال الدين» [4] ، ويكون بذلك الفيلسوف الذي وقف ضد الكنيسة وقفة ندية تنم عن شجاعة وإقدام منقطع النظير.

تطورت "الهرمنيوطيقا "مع فلاسفة آخرين يمكن أن نقول عنهم أنهم من موضعوها في المسار الصحيح، ولعل أشهرهم وكما يُكنى"عرّاب الهرمنيوطيقا" «شلايرماخر(1768-1834) فبتأسيسه لهرمنيوطيقا عامة للفهم مستقلة بذاتها تحررت بذلك من تبعيتها للعلوم الأخرى كالدراسات الفيلولوجية والتفسير الديني» [5] فشلايرماخر هو من شق طريق التأويلية لمن جاء بعده سواء من سار على نهجه أو من خالفه.

أما فلهلم ديلثاي(1833-1911) فقد اعتبر« الفهم والتأويل مجرد طرائق خاصة بالعلوم الإنسانية ،بل هي تترجم بحثا عن المعنى وعن التعبير أكثر أصالة من

1 بن حديد عارف ،التأويل عند هانز جورج غادامير (مذكرة ماجستير) ،جامعة منتوري قسنطينة ، الجزائر،2009، ص.13-18

2 الشيخ علي الرباني الكلبايكاني ،الهرمنوطقا ومنطق فهم الدين ،تع: الشيخ داخل الحمداني ،مؤسسة أهل الحق الإسلامية ،(د.ب)،(ط1)،2013،ص.34

3 دافيد جاسبر ،مقدمة في الهرمنيوطيقا ،تر:وجيه قانصو ،منشورات الاختلاف ،الجزائر ،(ط1)،2007،ص.21-22.

4إسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة ،تر:حسن حنفي، دارالتنوير،لبنان ،(ط1)،2005، ص.9

5 عبد الغني بارة ،الهرمنيوطيقا والفلسفة نحو مشروع عقلي تأويلي ،منشورات الاختلاف ،الجزائر،(ط1)،2008، 186.

الحياة نفسها »[1] فديلثاي جعل من التأويل لا آلية للتفسير فقط بل منهجا يصلح للعلوم الإنسانية .

في حين نجد «هيدغر يقول أن التأويلية هي قوة أنطولوجيا الفهم (...) وأن فهم النص ليس كشف المعنى الذي وضعه المؤلف ،وليس إعادة بناء ذهنية صاحب الأثر ،وإنما أن يوجد الإنسان لنفسه إمكانا وجوديا جديدا تحت مظلة فهم النص بعد أن يواجه النص بالحدس والتخمين»[2] لقد ربط "هيدغر" بين الوجود والفهم والتأويل واعتبر التأويل قدرة يمتلكها الإنسان في استحداث فهم جديد يعكس وجوده هو لا وجود المؤلف.

2-انتقال الفكر الهرمنيوطيقا إلى العالم العربي:

لم يكن الفكر بصورته الفضفاضة لصيقا بأمة أو حضارة معينة ،بل هو مشروع إنساني تتشارك فيه كافة العقول استطاع المفكرون العرب استقدام التأويل كغيره من المناهج والآليات بغية بعث نهضة أو تأسيس حداثة كالتي أقامها الغرب، وفي خضم هذا يحضرني قول أدونيس الذي اعتبرأن : «الحداثة قد بدأت فكريا بحركة التأويل»[3]، فلما استطاع المفكرون الغربيون مجاوزة صنم اللاهوت الكنسي وإقامة العقل ،تمكنوا من تأسيس حداثة و حركة فكرية وعلمية أدت لثورات عديدة وإحلال قيم جديدة.

هناك عدة شخصيات فكرية أخذت على عاتقها مهمة نقل التأويل إلى العالم العربي، ولعل "نصر حامد أبو زيد" أهمها ،فنحن نجده في كتابه "إشكاليات القراءة وآليات التأويل " يسلّم بكون «الهرمنيوطيقا قضية قديمة جديدة وهي ليست قضية خاصة بالفكر الغربي،بل لها وجودها الملّح في تراثنا العربي القديم والحديث على السواء»[4] وهذا ما جعل مهمة إعادة نقلها إلى عالمنا العربي سهلة .

كما يفرق "أبو زيد " بين نوعين من التفسير : « التفسير بالمأثور و بين التفسير بالرأي أو التأويل ، فالتفسير بالمأثور: يهدف إلى الوصول إلى معنى النص عن طريق

1 جان غروندان ،التأويلية ،تر:جورج كتورة ،دار الكتاب الجديد المتحدة ،(د.ب)،(د.ط)،(د.ت)،ص.31

2 علي فتحي ،مدخل لتأويلية هيدغر ،تع : علي هاشم الموسوي ،مجلة قراءات معاصرة ،النجف، (ع1)،2015،ص. 127-144

3 هيثم سرحان ،استراتيجية التأويل الدلالي عند المعتزلة ،نادي تراث الإمارات ،أبوظبي ،(ط1)،2012،ص.23

4 نصر حامد أبو زيد ،إشكاليات القراءة وآليات التأويل،المركز الثقافي العربي،المغرب،(ط7)،2005،ص.14

تجميع الأدلة التاريخية و اللغوية التي تساعد على فهم النص فهما موضوعيا ؛أي كما فهمه المعاصرون لنزول هذا النص وقد أطلق على أصحابه "أهل السنة والسلف الصالح" ،أما التفسير بالرأي فقد نُظر إليه على أساس أنه تفسير غير موضوعي ؛لأن المفسّر ينطلق من موقفه الراهن محاولا إيجاد في النص القرآني سندا لهذا الموقف، وقد مثله "الفلاسفة والمعتزلة والشيعة والمتصوفة"»[1].

ليخلص في النهاية إلى أن «المعضلة التي لم ينتبه لها القدماء هي :كيف يمكن الوصول إلى المعنى الموضوعي للنص القرآني؟وهل في طاقة البشر بمحدوديتهم و نقصهم الوصول إلى القصد الإلهي في كماله و إطلاقته؟»[2] فالفهم البشري ومهما ادعى ، يظل قاصرا غير مؤهلٍ للولوج إلى المعنى الإلهي ،فكيف يحدد ،ويعيّن تفسيرا واحدا ويقر بكونه التفسير الأصح؟ هذا ما سيعمل يوسف الصديق* على معالجته باعتباره مؤولا جديدا للنص القرآني .

3-يوسف الصديق ناقد للمؤسسة التفسيرية:

ينطلق "يوسف الصديق" في كتابه "هل قرأنا القرآن أم على قلوب أقفالها " من استقراء تاريخي معمق لمراحل ظهور التفاسير الأولى للقرآن (الطبري ،ابن كثير ،القرطبي...) أو كما يسميها تفاسير المؤسسة الدينية ،والتي احتكمت إلى مرويات سردية و إديولوجيات إقصائية ،فهو يعتقد أن المسلم المعاصر أو أي باحث يهتم بالإسلام «بقي يستهدي طريقه في التعرف على معاني القرآن وألغازه من فضاءات استقر فيها التفسير على أرض التلاوة والترتيل لا على مفهوم القراءة الحقة بمعناها الأوفى»[3] فالقراءة في عرف التفكيكيين أمثال "جاك دريدا" و"بول ديمان" ،"كروستوفر نورس" هي إساءة قراءة all reading are Misreading .

---

1 المرجع السابق،ص.14-15

2المرجع نفسه،ص.15

*يوسف الصديق: ولد يوسف الصديق في توزر من بلاد الجريد التونسية سنة 1943م. فيلسوف كاتب و مفكّر ومتخصص في الانثروبولوجيا الأديان .درس و درّس في جامعة السربون بباريس ،صدر له عديد المنشورات من آخرها : "هل قرأنا القرآن أم على قلوب أقفالها ؟" عن داري التنوير ومحمد علي ، و يصدر له عن دار محمد علي/تونس و عن L'Aube/فرنسا "تونس بعد ثلاث سنوات ...الثورة المنقوصة ".ينظر:يوسف الصديق ،الأخر والآخرون في القرآن ،دار التنوير للطباعة و النشر، تونس ،(ط.2)،2015،الصفحة الرابعة (الغلاف).

3يوسف الصديق ،هل قرأنا القرآن أم على قلوب أقفالها ،دار التنوير للطباعة والنشر،لبنان،(ط.2)،2015،ص.7

والقراءة كما يحددها "يوسف الصديق تقوم" على :« عملية التفكيك والتركيب المتجدد للوحدات المعنوية ثم وصلها مع غيرها من المعاني في ذات النص مع تحديد المواقع والشخصيات والأحداث والإشارات التي احتواها هذا النص...»[1] فهي قراءة قائمة على شبكة من عمليات التفكيك و إعادة التركيب وفق فهم معين.

وحتى نبلور فاعلية الفهم على حد تعبير "ريكور" : « يجب أن نعبر العتبة التي تقف وراءها اللغة بوصفها خطابًا»[2] ، فاللغة تتشكل في نسق خطابي ملغّم ، موجه «إنّه إنتاج مراقب ومنتقى ومنظّم ومعاد توزيعه من خلال عدد من الإجراءات التي يكون دورها هو الحدّ من سلطانه ومخاطره والتحكّم في حدوثه المحتمل بإخفاء مادّيته الثقيلة والرهيبة.»[3] فالخطاب يكرس إيديولوجية ما .

فما منطوق خطابه ،وما المسكوت عنه ؟

1-3 منطوق الخطاب*[4] :

في البداية يوجه "يوسف الصديق" جل انتقاداته للمؤسسة التفسيرية ، وهو يسميها "مؤسسة" لأنها وجهت الخطاب القرآني و «ادعت حمايته بينما لم ينله منها سوى العزل والانفصال عن دائرة التفكر الكوني الأعدل قسمة بين البشر»[5] فقد عطلت هذه المؤسسة العقل وقيدته بمزاعم حماية القرآن من التحريف كما حل بالرسالات السماوية السابقة ، فخوفها من التحريف أوقعها في التحريف من خلال جعل « النص المقدس على اثر قراءة إيمانية ، ومن خلال الشبكة الاصطلاحية والرمزية الغامضة التي شكلتها هذه القراءة ،حجبت كل السبل الممكنة المؤدية إلى قراءات مغايرة»[6] هذه القراءات التي توارثناها –والمقصود بالقراءات هنا التفاسير- لم تؤت

1 المصدر السابق ،ص.7.

2نظرية التأويل - الخطاب وفائض المعنى، بول ريكور، ترجمة: سعيد الغانمي، الناشر المركز الثقافي العربي، ط2، 2006، ص 22

3 ميشيل فوكو: نظام الخطاب، تر: محمد سبيلا، دار التنوير، (دب)، (د ط)، (د ت)، ص.4.

*ورد تعريف "فوكو" الصريح للخطاب بكونه :« الميدان العام لمجموع المنطوقات énoncés و أحيانا أخرى مجموعة متميزة من المنطوقات ،وأحيانا ثالثة ممارسة لها قواعدها ،تدل دلالة وصف على عدد معين من المنطوقات وتشير إليها. »ينظر: ميشال فوكو ،حفريات المعرفة ،تر: سالم يفوت ،المركز الثقافي العربي،المغرب،1968،ص.78.

5 يوسف الصديق ،هل قرأنا القرآن أم على قلوب أقفالها،ص.9.

6 المصدر نفسه ،ص.13.

أُكلها بقدر ما كرّست للغموض والابتذال ،فصرنا نقرأ ولا نقرأ ،أي نرتل ونهتم بجوانب الصوت ومخارج الحروف ولا نقيم اعتبارات لمدلولاتها ، قراءة عمياء ،دون تدبر.

كما يجد "يوسف الصديق"منفذا تاريخيا لنقد سياق جمع القرآن فهو يشكك في صحة عملية جمع المصحف التي قام بها "عثمان بن عفان" حيث يقول على لسان المعارضين « إن عثمان يغتصب لنفسه سلطة دينية ليست له»[1] فهل انفرد فعلا "عثمان بن عفان " بمسألة الجمع ليبرر فرض سلطته كما ادعى يوسف الصديق؟

ويذهب "يوسف الصديق" كذلك إلى أن« المؤسسة التفسيرية عجزت على قراءة الخطاب القرآني ،فألقت بنفسها في غياهب سكنتها أشباح الأساطير والثقافات الشعبية السائدة »[2] ،إن لجم القراءة و حصرها ووضعها بين دفتي كتاب غيّر المسار الهرمنيوطيقي المرجو للقراءة القرآنية .

وبمنظار أسطوري يدلل "يوسف الصديق" على وجود كلمات يونانية في القرآن ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ما نورده في الجدول* التالي :

الآية	المصطلح	الأصل اليوناني
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوس وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّه يَفْصِل بَيْنهمْ يَوْم الْقِيَامَة ﴾ الحج (17)	لفظة صابئة	من فعل sebÔ اليوناني = الإعجاب ،الخشية من الآلهة ،وامتدت لتشمل الفناء في الهوى =الصبابة.
﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾الفيل (4)	لفظة سجيل	من الفعل sigalÔ اليوناني الذي يعني لمعت و صقلت
﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ الكوثر(1)	لفظة كوثر	كلمة دخيلة لأنه لا يشتق فوعل من سالم ،وهي من الأصل اليوناني Katharos =صاف وخالص دون دنس.

1 المصدر السابق،ص.70-71

2 المصدر نفسه ،ص.148-149

* هذا الجدول من انجازنا لخصنا فيه أهم الكلمات القرآنية ذات الأصل اليوناني حسب ما ورد في كتاب يوسف الصديق "هل قرأنا القرآن أم على قلوب أقفالها" ، ص. 174-185.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ الفيل (3)	لفظة أبابيل	لفظة أبوبولي اليونانية apobolê أي الرمي بعيدا

إن مسألة البحث في المفردات الغريبة في القرآن الكريم تعود إلى أيام الشافعي فلا يدعي يوسف الصديق أنه أتى بجديد ،وقد وضع "أبو عبيد القاسم بن سلام"[1] مقاربة مؤداها أن هناك حروف أصولها أعجمية وسقطت عند العرب فعربتها وحولتها إلى ألفاظ عربية واختلطت بالكلام العرب وبالقرآن ومنه من قال بكونها عربية فهو صادق ومن قال أنها أعجمية فهو صادق.

ولم يكتف "يوسف الصديق" في التجديف في الإتيمولوجيا اللغوية، والتأصيل المغرض الذي يضرب عربية اللغة ليجعلها خاضعة للغة اليونانية التي يعتبرها أم اللغات ،وهاته الممارسة تُضم لما قام به "سلامة موسى" الذي جعل تخلف العقل العربي بسبب اللغة العربية ،و "طه حسين" الذي اتهم الشعر الجاهلي بأنه منحول،موضوع.

إلى جانب لهثه وراء المستشرقين أمثال "جاك بيرك" وغيرهم ...حينما ادعى أن « الجزية ظلم وفيها تمييز بين الناس ،الجزية في الأصل ضريبة يدفعها أهل الذمة من اليهود والنصارى عن قهر وذل إلى بيت مال المسلمين»[2] والجميع يعلم أنها قدر معلوم يدفعه أهل الذمة لحمايتهم مع الإبقاء على دينهم وممارسة طقوسهم والدفاع عنهم في حالة المساس بحقوقهم .

إن الانجرار نحو المغامرة الهرمنيوطيقية أخرج يوسف الصديق من دائرة التأويل المعقول ،إلى الهرطقة المبتذلة خاصة عندما ذكر "الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم " ونزع عنه قداسة الإصطفاء و ساواه بالبشر في قوله :« ما محمد إلا إنسان نشترك نحن معه في هذه الإنسانية »[3] فهل يعقل !!

2-3 المسكوت عنه:

من حادثة جمع القرآن ، أبدى يوسف الصديق تحاملا كبيرًا على الخليفة "عثمان بن عفان" ،إذ توثق كتب التاريخ أن عثمان (رضي الله عنه) لم ينفرد بالسلطة،

1 ينظر: نصر حامد أبو زيد ، الشافعي وتأسيس الإيديولوجيا الوسطية ،سينا للنشر ،مصر،(ط1)،1992،ص.13
2 يوسف الصديق، الآخر والآخرون في القرآن ،ص.85-86
3 المصدر نفسه ،ص.105

بل استشار «وشكل لجنة من أربعة نساخ منهم زيد بن ثابت ،وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص،عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وكلفهم بنسخ مصحف حفصة بعدد من النسخ»[1] ومنه نفهم أن تشكيك "يوسف الصديق" في عملية الجمع القسرية لا أساس لها ، بل إن الغرض منها التشويش وبعث الارتياب في نفوس المسلمين،لمساواة القرآن بالرسالات المحرفة ،عملاً بترهات المستشرقين فإن لم يثبت أن القرآن محرف فقد بث على الأقل أنه ناقص وغير مكتمل بدعوى الإبقاء على مصحف واحد وحرق المصاحف الأخرى.

يجترئ "يوسف الصديق" على لغة القرآن واصفا إياها بالهجينة والدخيل، وقد مثل بكلمات ربطها باللغة اليونانية ضاربا عرض الحائط اشتقاقاتها العربية الأصيلة، حيث ورد في كتاب" المفردات في غريب القرآن"[2] ما نصه:

اللفظ	أصله ومظانه العربي
لفظة صابئة	الصابئون قوم كانوا على دين نوح ،وقيل لكل خارج من الدين إلى دين آخر
لفظة سجيل	السجيل حجر وطين مختلط وأصله فيما قيل فارسي معرب
لفظة كوثر	قيل هو نهر في الجنة يتشعب عنه الأنهار ،وقيل بل هو الخير العظيم الذي أعطاه النبي ،وقد يقال للرجل السخي
لفظة أبابيل	أي متفرقة كقطعات إبل ،والواحد إبيل

يظهر من هذا الجدول أن أغلب الكلمات ذات أصل عربي ،ماعدا كلمة سجيل التي رُجح أنها من أصل فارسي وليس يونانيا ، بحكم قرب العرب الجغرافي للفرس أكثر من اليونان، ومن ثمة تبطل مزاعم يوسف الصديق حول الأصل اليوناني للكلمات ، ونفند بذلك إلصاقه العقل العربي باللوغس اليوناني.

وإذا كان المسلمون يساهمون في نفقات الدولة عن طريق نظام الزكاة ،فإن غير المسلمين عليهم واجب المواطنة والمساهمة في نفقات الدولة وزيادة مداخيلها من

1محمد عبد الله دراز ،مدخل إلى القرآن الكريم ،عرض تاريخي وتحليل مقارن ،تر:محمد عبد العظيم علي ،دار القلم ،الكويت ،(د.ط)،1984،ص.38

2 الراغب الأصفهاني ،أبو القاسم الحسين بن محمد ،المفردات في غريب القرآن ،مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية ،(د.ط)،(د.ت)،(ج1)،ص.9-517

خلال الجزية ، إن تحامل يوسف الصديق على الإسلام والنظام الإسلامي جعله يلتحق بغيره من المستشرقين أمثال "ج.فيلهاوزن" ،و "مرغريت غراهم فير" ...فـ «المسلمون لم يكونوا أول من ابتدع ضريبة رأس المال تعصبا منهم للدين الإسلامي »[1] وتتسم الجزية في الإسلام بالعدالة والرحمة فلا تؤخذ من فقير ولا من ضعيف ولو كان على غير ملة الإسلام ، بل أكثر من هذا «فإن عمر ابن الخطاب قرر صرف مبالغ من المال لفقراء أهل الكتاب»[2] وهذا إن دل على شيء إنما يدل على تسامح الإسلام وتعايش أفراد الدولة الواحدة مهما تعددت دياناتهم .

إن مهمة المؤول الأولى هي تحريك علامات النص وبث السيرورة فيه لمسايرة العصر، لا الاتباع الأعمى للمغالطات المنطقية ،التاريخية والمعرفية ، فالسياقات الغربية التي أقامت الدولة المدنية وفصلت الدين عن الدولة مؤسسة بذلك اللائكية، تختلف عن الإسلام الذي هو دين حياة وآخرة ،وليس دين آخرة وفقط.

وفي هذا نستحضر مقولة "النظام "عن حدود التأويل" فيقول: « إن لتفسير القرآن طريقة خاصة ،تقوم على أصول ،ومن أهم هذه الأصول: عدم البُعد في التأويل عن المعنى الذي تدل عليه الألفاظ ،وترك التكلف وترك الجري وراء الغريب من القرآن»[3] فالهدف من توظيف الهرمنيوطيقا وغيرها من المناهج هو وضع مقاربات لإضاءة النص وكشف مكنوناته ،لا لتعتيمه ودحض براهينه الناصعة ،وتكذيب حقائقه البينة.

خاتمة:

نخلص في الأخير إلى أن التأويل أمر محمود إذا وافق الضوابط والشروط، فطبيعة العقل الفطِن والواع لا تقبل الجمود كما لا تقبل الطبيعة الفراغ، فلا يمكن للعقل السوي والمتزن أن يستقبل أفكاراً هكذا وبشكل عشوائي دون تحليل، أو تمحيص، أو حتى شك في مصداقيتها ،لكن الشك ليس مدعاة لهجوم غوغائي وعبثية مطلقة،بل بحكمة تخضع للمنطق السليم والحجة الدامغة ، لا دعوة للخروج عن أنساق اللغة العربية، فصحيح أن لكل قراءة قراءة، وفوق كل خطاب خطاب، ولا

1 محمد كامل الحسن المحامي ،الجزية في الإسلام ،منشورات دار مكتبة الحياة ،لبنان ،(د.ط)،(د.ت)،ص.85.
2 المرجع نفسه ،ص.85.
3 محمد عبد الهادي أبو ريدة ، إبراهيم بن سيار النظّام وآراؤه الكلامية ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر،(د.ط)،(د.ت)،ص.24.

توجد قراءة بريئة، ولكن علينا إعادة أقلمة المفاهيم والآليات المستوردة من الغرب، وفق المناخ والتربة العربية.

المصادر والمراجع:

1.المصادر:

1-يوسف الصديق، الآخر والآخرون في القرآن، دار التنوير للطباعة والنشر، تونس، (ط2)،2015.

2-يوسف الصديق ،هل قرأنا القرآن أم على قلوب أقفالها، دار التنوير للطباعة والنشر،لبنان،(ط2)،2015.

2-المراجع:

1- إبراهيم محمد إبراهيم ،الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها، مطبعة الأمانة ،مصر ،(ط1)،1985،

2- أحمد شلبي ،أديان الهند الكبرى ،الهندوسية ،الجينية ،البوذية ،مكتبة النهضة المصرية، مصر،1984،

3- إسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة ،تر:حسن حنفي، دارالتنوير،لبنان ،(ط1)،2005

4- بول ريكور، نظرية التأويل - الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، الناشر المركز الثقافي العربي، ط2، 2006

5- جان غروندان ،التأويلية ،تر:جورج كتورة ،دار الكتاب الجديد المتحدة ،(د.ب)،(د.ط)،(د.ت)،

6- بن حديد عارف ،التأويل عند هانز جورج غادامير (مذكرة ماجستير) ،جامعة منتوري قسنطينة ،الجزائر،2009،

7- دافيد جاسبر ،مقدمة في الهرمنيوطيقا ،تر:وجيه قانصو ،منشورات الاختلاف ،الجزائر، (ط1)،2007،

8- الراغب الأصفهاني ،أبو القاسم الحسين بن محمد ،المفردات في غريب القرآن ،مكتبة نزار مصطفى الباز ،السعودية

9- رولاند .ن.ستورمبرغ ،تاريخ الفكر الأوروبي الحديث 1601-1977،تر أحمد الشيباني ،دار القارئ العربي ،المملكة العربية السعودية ،(ط 3) ،1994

10- الشيخ علي الرباني الكلبايكاني ،الهرمنوطقا ومنطق فهم الدين ،تع: الشيخ داخل الحمداني، مؤسسة أهل الحق الإسلامية ،(د.ب)،(ط1)،2013

11- عادل مصطفى ، فهم الفهم مدخل إلى الهرمنيوطيقا : نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير، دار رؤية ،العربية ، مصر،(ط1)، 2007

12- الغني بارة ،الهرمنيوطيقا والفلسفة نحو مشروع عقلي تأويلي ،منشورات الاختلاف، الجزائر،(ط1)،2008.

13- علي فتحي ،مدخل لتأويلية هيدغر ،تع : علي هاشم الموسوي ،مجلة قراءات معاصرة، النجف ،(ع1)،2015.

14- محمد أركون ،العلمنة والدين الإسلام المسيحية الغرب،دار الساقي،لبنان،ط3 ،1996،

15- محمد عبد الهادي أبو ريدة ، إبراهيم بن سيار النظّام وآراؤه الكلامية ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،مصر،(د.ط)،(د.ت)،

16- محمد كامل الحسن المحامي ،الجزية في الإسلام ،منشورات دار مكتبة الحياة ،لبنان، (د.ط)،(د.ت)

17- محمد عبد الله دراز ،مدخل إلى القرآن الكريم ،عرض تاريخي وتحليل مقارن ،تر:محمد عبد العظيم علي ،دار القلم ،الكويت ،(د.ط)،1984،

18- ابن منظور،لسان العرب ،دار صادر،مصر ،(د.ط)،2003،(ح.الألف)

19- ميشيل فوكو: نظام الخطاب، تر: محمد سبيلا، دار التنوير، (دب)، (د ط)، (د ت)،

20- ميشال فوكو ،حفريات المعرفة ،تر: سالم يفوت ،المركز الثقافي العربي،المغرب،1968

21- محمد أحمد المبيض ،التأويل وأثره في الاختلاف العقائدي والفكري والفقهي ،مجلة جامعة الأقصى –غزة- ،فلسطين ،عدد خاص ،2006،

22- مرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ،تر:عبد الهادي عباس،دار دمشق،سوريا،(ط1)،1986.

23- نصر حامد أبو زيد ،إشكاليات القراءة وآليات التأويل،المركز الثقافي العربي،المغرب،(ط7)،2005.

24- نصر حامد أبو زيد ، الشافعي وتأسيس الإيديولوجيا الوسطية ،سينا للنشر، مصر،(ط1)،1992.

25- هيثم سرحان ،استراتيجية التأويل الدلالي عند المعتزلة ،نادي تراث الإمارات ،أبوظبي، (ط1)،2012.